قصّة (شبّاك رشا)

تدور القصّة حول فتاة من رام الله تشارك في مظاهر الانتفاضة الأولى عام 1989، وهي في الثانية عشرة من عمرها، وتكسر رجلها عندما تعثر هاربة من جنود الاحتلال، الأمر الذي ألزمها غرفتها وشبّاكها مصطحبة الجبص والعكّازين، فكانت تتسلّى برؤية أصحابها يلعبون في حوش البيت، وتشاهد أحداث الانتفاضة واشتباكات جنود الاحتلال مع الشباب، وقد انتهت القصّة بتحذيرها للشباب من جنود الاحتلال بوساطة الصافرة.

اللغة:

كانت لغة السرد فصيحة سهلة في مجملها، واستقت الكاتبة معجمها اللغويّ من بيئتنا المحلّيّة الفلسطينيّة، فحملت كثيرا من المفردات الشعبيّة (كوم حجارة، عكّازان، عقود عالية، طرّاحة، مصطبة، حوش، الاستغمّاية، الشحفة، دلّوع، بقعة وحل، أتفرّج، جيبّات، الصنادل والزنّوبات، آوت)، ولكن كانت هناك صعوبة في بعض المفردات والمصطلحات (الحاكم العسكري، والرصاص المطّاطيّ، المخابرات العسكريّة الإسرائيليّة).

وأمّا عن لغة الحوار على ندرتها فكانت بالعامّية في معظمها تتناسب مع ثقافة شخصيّاتها (ورا برميل الياسمينة، يا ويلكم وسواد ليلكم، "ممنوح التجوّل حتى أشعار آخر، وكلّ من يخلف يعقب")، وقد جاءت وصفيّة تخلو من الصور البيانيّة والقوالب البلاغيّة، وكأنّها موجز إخباريّ يحمل طابع صحفيّ.

ولا نكاد نلمح الجمل الاسميّة، فغالبيّتها العظمي جمل فعليّة خبريّة، وفيها يكون التركيز على الحدث، واعتياديّته، فّإذا كان الحدث غريبا غير اعتياديّ حقّ أن يخبر عنه بالجمل الاسميّة، وتكرار الجمل الفعليّة يعطي انطباعا بالسرعة، الأمر الذي جعلها تبدو مقحمة غير مترابطة، وكأنّها أخذت من جعبة عن غير تبصّر، وفي رأيي كان أحرى بالكاتبة أن تعتمد على الجمل الاسميّة، وذلك لما توفّره من رويّة وهدوء وتأمّل يليق ببطلة القصّة المقعدة التي ترى الزمن ثابتا لا يتحرّك.

ولأنّ البطلة كانت بدور الصحفيّ كانت تنقل ما جرى من أحداث فتراوحت أفعالها بين الماضي والمضارع.

الحدث:

هناك ثلاثة أحداث في القصّة: الأوّل رئيس، والآخران فرعيّان، ويتمثّل الحدث الأوّل بخروج رشا مع الشباب في مظاهر ضد الاحتلال في الانتفاضة الأولى عام 1989م، فتكسر رجلها، وتصبح حبيسة شبّاك غرفتها، والحدث الثاني يرتبط بشبّاك غرفة رشا الذي يصبح منطارا لأحداث الأطفال اليوميّة، فتشاهد ألعابهم، وأحداث انتفاضتهم

واشتباكاتهم مع جنود الاحتلال، ثمّ يأتي الحدث الأخير، حيث تلتقط رشا صفارة أخيها عن سريره، وتنفخ فيها محذرة الشباب من دوريّة جنود الاحتلال القادمة عليهم، وهي بذلك تستلهم فكرة الفتاة ذات الجاكيت الأحمر.

وكما أشرنا سابقا، فإنّ الأحداث تجري بسرعة، وكأنّها في سباق مع الزمن، ممّا يجعل القارئ يلهث متعبا، كلّ ذلك بسبب طغيان الجمل الفعليّة الخبريّة التي تنقل الأخبار والأحداث، دون أن تلتفت إلى المشاعر والأحاسيس، وأكرّر بأنّ خلّو القصّة من الجمل الاسميّة لم يترك مجالا للراحة أو التصوير أو التأمّل، كما أنّ افتقار القصّة للجمل الإنشائيّة جعلها جافّة لا تحفل بوصف مشاعر شخصيّات القصّة، ولا تفطن لعوالمهم وحواراتهم الداخليّة.

الصراع في القصّة جاء خارجيّا سطحيّا، وهو صراع الأطفال مع جنود الاحتلال، وصراعهم المتمثّل في تنافسهم في الألعاب، ولكن أين صراع النفس تجاه الاحتلال؟ وأين صراع رشا تجاه الجبص والعكازتين؟ وأين صراعها مع ذاتها وهي حبيسة البيت؟! حيث لم تلتفت الكاتبة لهذه الأشياء.

لغة السرد كانت بضمير المتكلّم، والراوي شخصيّة من شخصيّات القصّة، لذلك دارت الأحداث حوله، وأعطته صورة الشخصيّة الرئيسة، ولكنّه لم ينقل لنا تفاصيل الشخصيّات الأخرى، وظلّت ملامحهم باهتة، وكان همّة الأحداث فقط، فلم يعط الشخصيّات أيّة قيمة، ولو كان الراوي مختلفا لوجدنا الفتاة ذات الجاكيت الأحمر هي البطلة، وهي الشخصيّة الرئيسة، لكنّ الأمر كان مغايرا في القصّة، حيث بدت هذه الشخصيّة مجهولة ثانويّة.

الحلّ:

قبل أن أتحدّث عن الحلّ أتحدّث عن العقدة التي تمثّلت في كسر ساق رشا ولزومها البيت، أو في اشتباكات الشباب مع جنود الاحتلال، ولكنّ هذه العقدة خلت من الإثارة والتشويق، حيث لم تستطع الكاتبة أن تجعل هذه الأحداث مليئة بالترقّب والتوتّر والتشويق، وإنّما كانت تنقلها جافّة كأيّ خبر، ولكنّ الحلّ الذي أعقبها اتّسم بالجماليّة، فكان هادفا مناسبا، حيث تمثّل الحل في مشاركة رشا الأطفال في ألعابهم واشتباكاتهم مع جنود الاحتلال، وهي حبيسة غرفتها، حيث أخذت صفّارة أخيها، ونفخت فيها محذّرة الأطفال من جنود الاحتلال القادمين، مستلهمة شخصيّة الفتاة ذات الجاكيت الأحمر.

أشجع دريدي